المطلب الثالث

أثر الوقف على وسائل الإعلام

تواجه الأمة الإسلامية اليوم خطر التدفق الإعلامي الذي أُلغيت أمامه الحواجز الجغرافية، وأصبح العالم اليوم كالقرية الصغيرة، مما أفقد المجتمعات الإنسانية خصوصياتها، ولا شك أن الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين قد نجحت في توظيف وسائل الإعلام وتقنياتها الحديثة للوصول إلى الأهداف التي تنشدها .

"لا توجد هناك مجموعة بشرية أكثر عنصرية وتنظيمًا لمصالحهم من اليهود، هل يستطيع عاقل بعد توافر مثل هذه الحقائق لديه أن يؤمن بأن اليهود يقدمون الأخبار وبرامج التسلية دون موقف شخصي يخدم أغراضهم من خلال ما أسماه غابلر (إمبراطوريتهم الخاصة بهم)" [1] .

مما يستلزم المسارعة إلى تلافي هذا الخطر الذي يحيط بالأمة الإسلامية، وذلك باستثمار تلك الوسائل في الدعوة إلى الإسلام وتفنيد شبهات المغرضين، وبيان زيف الدعاوى الكاذبة، وإن ذلك ليستدعي تضافر جهود المخلصين من أبناء هذه الأمة والقادرين على دعم وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، والمساهمة في إعداد الكوادر الإعلامية المؤهلة للتعامل مع التقنيات الإعلامية الحديثة التي تحمل المضامين الهادفة إلى بيان حقائق هذا الدين الخاتم، وكشف زيف المغرضين ممن يعمدون إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين ولعل من المناسب أن نشير إلى مشروعية وسائل الإعلام.

"إن المقصود بوسائل الإعلام جميع الأدوات التي تستخدم في صناعة الإعلام وإيصال المعلومات إلى الناس، إلا أن وسائل الاتصال الجماهيري بصفة عامة تنقسم إلى وسائل مقروءة ووسائل سمعية ووسائل بصرية وسمعية.

وجميع وسائل الإعلام –في حد ذاتها– أدوات محايدة تدخل في دائرة المباحات والحكم عليها يدور بما تحمله من رسائل، وما تقوم به من وظائف، فهي يمكن أن تقوم بوظيفة الخير أو

---

(١) الصحوة النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية – ديفيد ديوك، ترجمة: د. إبراهيم يحيى الشهابي ص١٦٩-١٧٠، ط١ – ١٤٢٣هـ، دار الفكر، دمشق .

الشر بحسب أغراض الجهة التي تملك هذه الأجهزة، وتسخرها لمصلحتها"[1] .

إن هـــذه الوسائل تأخذ حكم المقصود منها مثل "المشي" كما سبق الإشارة إليه- فإن كـــان للصلاة كان واجباً مندوبًا وإن كان المشي لارتكاب المحرمات كان حراماً ويمنع الإنسان منه.

ولما كان لوسائل الإعلام أهمية كبيرة في نشر الإسلام والرد على الحملات الشرسة على المـــسلمين، وغير ذلك من الوظائف التي يمكن أن تضطلع بها وسائل الإعلام، فإن الوقف على تلـــك الوسائل باب عظيم من أبواب الخير لأنه لا ينكر أحد أهمية الإعلام فيه هذا العصر، مما يستلزم العناية بوسائل الإعلام.

وإن ممـــا ينبغـــي التأكيد عليه أن وسائل الإعلام إذا ما وظفت التوظيف الصحيح فإنها ستؤدي رسالة عظيمة في الدعوة إلى الله، حيث تملك السرعة والانتشار في نقل الموضوعات التي يراد نقلها.

إن شـــيخ الإسلام ابن تيمية يرى: "أن الوقف على الأعمال الدينية كالقرآن والحديث والفقه لا يمكن أن يكون محلاً للنزاع بين العلماء" [2] .

وبالنظر إلى الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى، نجد أنها قد تختلف عن الكتب مـــن ناحية الشكل، وأسلوب العرض للمضمون؛ فالكتب تركز على وحدة الموضوع وترابطه، أمـــا وســـائل الإعلام فتركز على التنويع وقد تصدر يومياً مثل الجرائد وقد تصدر أسبوعياً أو شـــهرياً أو فـــصلياً حـــسب توجهات وسيلة الإعلام، وقد تتضمن أحاديث ولقاءات وبرامج وغيرها.

لكـــن يبقـــى أن نؤكد على حقيقة المضمون الذي تحمله وسائل الإعلام إن كان نافعاً للناس في دنياهم وأخراهم وهادفاً فإنه يأخذ حكم الكتب النافعة التي ينبغي الوقف عليها ليعم

---

(١) الوقف والإعلام- دراسة لمشروعية الوقف على وسائل الإعلام وحاجة المشروعات الوقفية لخدمة وسائل الإعلام-د. خالـــد بن عبد الله القاسم-ص١٠ ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية-ط١-١٨-١٩ شوال ١٤٢٠هـــ- مكة المكرمة.

(٢) مجموع الفتاوى - ابن تيمية -٢٣/٣١.

خيرها بين الناس.

"إن العلماء بينوا أن من شروط صحة الوقف أن يكون على بر أو معروف" (١) .

"فإذا كانت الضروريات الشرعية التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا هي: حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال، فذلك يعني أن ما يقتضيه حفظ هذه الضروريات من وسائل هو ضروري أيضاً وبناءً على ذلك: فإن الإعلام بوسائله المتنوعة أصبح ضرورة شرعية يقتضيها حفظ مقاصد الشريعة الإسلامية الضرورية.

والوجه الشرعي في ذلك تلك الحروب الإعلامية بالمواد المكتوبة والمسموعة والمرئية إضافة إلى الشبكة العنكبوتية وأجهزة الجوال، وغير ذلك من الوسائل التي تلج البيوت دون استئذان من أرباب الأسر، مما يقتضي التصدي لوسائل الإعلام المعادية بشكل موضوعي يقوم على تقديم البديل الأصلح الجذاب.

إن الإعلام الذي لا يتقيد بقيود دينية أو أخلاقية هو سلاح من أسلحة الأعداء الذين يتربصون بالإسلام والمسلمين شراً مستطيراً.

يقول ديفيد ديوك: "ذهلت عندما قرأت مقالة إدوارد فيلدز (Edward Fields) التي توثق سيطرة اليهود على كبريات شبكات التلفاز فشبكات NBC . CBC. ABC تنتج الأكثرية الساحقة لمواد التسلية في أمريكا وتعد هذه الشبكة عند الأمريكيين مصدر المصادر الرئيسية للأنباء" (٢) .

"وعندما مات نيوهاوس (Newhouse) خلّف تركة إعلامية ضخمة بقيمة ١٠ بليون دولار لولديه صموئيل ودونالد. ومن بين الصحف التي يملكونها: (Time Picayune) وصحيفة (Post Standard) الصباحية، (Herald - Journal) المسائية الصادرة كلها في سيراقوسا (Syracuse)، نيويورك، وصحيفة Afternoon Press, Morning Register

---

(١) انظر: المقنع والشرح الكبير- موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي- ١٦/٣٨٠- تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي-ط١-١٤١٥هـ-١٩٩٥م- مطبوع مع الشرح الكبير والإنصاف- هجر للطباعة والنشر- جيزة - مصر.

(٢) الصحوة النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية، ديفيد ديوك، ترجمة: د. إبراهيم يحيى الشهابي ص١٧٨.

الصادرة كلها في موبيل، ألاباما، وصحيفة News الصباحية، و Times المسائية الصادرة في Uuntsuille, Alabama وصحيفة Post Herald وصحيفة Union الصباحية، و News المسائية، و Republican التي تصدر يوم الأحد فقط وكلها تصدر في Springfield, Massachusetts.

تملك إمبراطورية نيوهاوس اليوم ١٢ محطة تلفاز و ٨٧ نظام كوابل تلفازية و ٢٤ مجلة قومية و ٢٦ صحيفة يومية وملحق الأحد لصحيفة Parade التي توزع رقمًا مذهلاً يزيد على ٢٢ مليون نسخة.

عندما اشترى نيوهارس صحيفة Picayune قالت مجلة تايم (Time) : إنه علق قائلاً: لقد اشتريت نيو أوليانز قوله هذا صحيح تمامًا. إذ يستطيع نيوهاوس وموظفوه أن يقولوا أي شيء عن أي شخص أو أية قضية دون أن يجدوا من يخالفهم " [١] .

" إن حفظ الدين من أهم مقاصد الشريعة، وقد تفننت وسائل الإعلام المعادية في تشويه صورة الإسلام في عيون المسلمين وغير المسلمين، كما أن حفظ العقول من تضليل الإعلام الكاذب من مقاصد الشريعة أيضاً، وأيضاً حفظ الأعراض من الفساد الخلقي الذي تحمله بعض وسائل الإعلام من مقاصد الشريعة" [٢] .

كل تلك الأمور وغيرها، تؤكد على أهمية الوقف على وسائل الإعلام التي تعمل على حفظ مقاصد الشريعة من خلال المضامين الإعلامية الإسلامية الهادفة والنافعة والتي ترمي إلى تحصين الناس من الفساد الذي تنشره وسائل الإعلام المعادية.

"وفي ضوء ما اختص الله به هذه الأمة من الشهادة على الأمم وشمول رسالتها الدينية لجميع الناس مما يستدعي معه -وبإلحاح- المسارعة في القيام بواجب نشر الإسلام وإيصاله لكل راغب وإقامة الحجة بذلك على كل معاند ومكابر.

---

(١) الصحوة النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية. ديفيد ديوك، ترجمة: د. إبراهيم يحيى الشهابي ص١٧٠-١٧١ .

(٢) انظر: علاقة الإعلام بالوقف د. أنور بن ماجد عشقي-ص٤-٥-ط١- مؤتمر الأوقاف الأول- الإعلام والوقف ٦ شعبان ١٤٢٢هـ- ١٢اكتوبر ٢٠٠١م-مكة المكرمة.

فـــإن ما تتيحه وسائل الاتصال الحديثة من إمكانيات الاتصال والتدفق المعلوماتي المفتوح دون قـــيود يقـــيم الحجة على كل قادر بأن يسلك في سبيل تحقيق ذلك ما في وسعه من طاقة وجهد حسي ومعنوي.

إن التدفق الإعلامي المضاد الذي يتعرض لـــه المسلمون صباح مساء من خلال وسائل وقنوات الاتصال المتعددة يهدد في طريقة الكثير من القيم والثوابت العقدية والمعرفية والأخلاقية والتربوية وبشكل لم يسبق له مثيل لا سيما في ظل خلو ساحة الإعلام الإسلامي من جهد مماثل له في الحجم والقوة، وتشتت الجهود القائمة وضعفها وقلة إمكاناتها.

ونظراً لما يواجه هذه الوسائل من المشاكل التي تتجاوز قدراتها وقدرات القائمين عليها، فإنها تقف قاصرة عن الوفاء بوظائفها على الوجه المطلوب.

هـــذا بالإضافة إلى أن كثيراً من وسائل الإعلام في بلاد المسلمين اليوم لا تقل خطورة وفتكاً بالثوابت والقيم والأخلاق- إن لم تكن أشد- مما يأتي من بلاد الكفر.

كـــل ذلك وغيره يستدعي من المسلمين المخلصين جهوداً كبيرة لمواجهتها والسعي إلى تحصين البيئة الإعلامية الإسلامية والبيئة الاجتماعية تحصيناً متيناً يقوم بالكفاية المفروضة ويساهم في تكوين المناعة التي تحفظ للأمة الإسلامية توازنها.

وهذا لا يتحقق إلا بتملك ناصية الإعلام وتوجيهه الوجهة الصحيحة القائمة على منهج ســـلف الأمة عن علم ووعي، والإنفاق عليه بسخاء واستثمار كل الفرص ومجالات الدعم التي يتـــيحها الـــشرع لصالح مجموع الأمة، وخدمة ثوابتها ومصالحها؛ لأن تكثيف وتكثير وسائل الإعلام الإسلامي وتنويعها ودعمها بكل سبيل ليس نوعاً من العبث ولا الإسراف ولا التبذير، فبقدر ما يتوفر لها من الإمكانات والكفاءات، وبقدر ما تتنوع وتتعدد بقدر ما تحقق التأثيرات المطلـــوبة والمنافسة المحمودة، وتقديم البديل الذي لا يجعل للوسائل المنحرفة والمضللة مكاناً أو فرصة" [1].

---

(١) انظر: دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامي وتمويلها-د.محمد بن عبد الله إبراهيم الخرعان-ص٢٢-٢٩-ط١ - ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية-١٨-١٩ شوال ١٤٢٠هـ- مكة المكرمة.

الاهتمام بالوقف على وسائل الإعلام: -

يقول إلكسندر سولشينيتسن (Alexandar Solzhenitsgn): "أصبحت الصحافة أكبر قوة، كما هو الحال اليوم، في العالم الغربي، أقوى من السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ويتساءل المرء من انتخبها وأمام من هي مسؤولة" (١).

بات واضحاً أن الاهتمام بوسائل الإعلام لأجل نشر الإسلام وتحصين المسلمين من غوائل الدعايات المضادة- من أهم ما توجه إليه جهود المحسنين في الوقف- لأن الوقف على وسائل الإعلام لا يقل أهمية عن الوقف على الكتب النافعة، بل إنه في ظل الفضائيات والتقنيات الإعلامية الحديثة تتضاءل تكلفة النشر عن طريق الإعلام الحديث، فحينما يتم دعم وسائل الإعلام من خلال الوقف عليها يمكن مخاطبة العالم بالإسلام عبر التقنيات الحديثة، بدلاً من محدودية الخطاب بالنسبة لوسيلة مثل الكتب التي تكلف طباعة ونقل وتسويق وغير ذلك.

وبالنظر إلى الاهتمام بالوقف على وسائل الإعلام فإن الواقع العملي يؤكد ضعف الاهتمام بالوقف على وسائل الإعلام، وأنها لم تنل حظها الكافي من الوقف، بما يتناسب مع مكانتها ووظيفتها، ويرجع ذلك إلى عدم وضوح الرؤية لدى الموقفين وأيضاً تقصير الدعاة والمؤسسات المعنية في إبراز أهمية الوقف على هذه الوسائل العصرية المؤثرة.

"فقد اعتنت الحكومات في العالم الإسلامي بمجال الوقف وانشأت الوزارات والمؤسسات الحكومية لرعايته والاهتمام به؛ وذلك لما للوقف من أهمية حيوية في المجتمعات الإسلامية.

وفي المملكة العربية السعودية أولت الحكومة -وفقها الله- الأوقاف منذ عهد الملك عبد العزيز آل سعود-رحمه الله- عناية ورعاية خاصة وبرزت مظاهر رعايتها للوقف وعنايتها به في مجالات متعددة من أهمها تنظيم شؤون الأوقاف والإشراف عليها وجعل ذلك في وزارة مختصة، وبجانب المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي في مجال العناية بالوقف وتنميته وتوسيع دائرة

(١) الصحوة النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية. ديفيد ديوك . ترجمة: د. إبراهيم يحيى الشهابي ص١٦٢.

مجالاتـــه، ومـــن أبرز تلك المؤسسات التي أنشئت في المملكة العربية السعودية:- رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية والندوة العالمية للشباب الإسلامي.

وتعتمد كل هذه المؤسسات والمنظمات من ضمن مصادر تمويلها على الوقف باعتباره مورداً رئيساً وثابتًا كما تعتمد على التبرعات والهبات، وقد استوعبت كثيراً من مجالات النفع والمـــشاريع الخيريـــة مثل:- بناء المساجد ورعايتها وبناء المدارس والمؤسسات التعليمية، ودور تحفيظ القرآن الكريم والمراكز الصحية والمستشفيات وملاجئ للأيتام والمراكز المهنية، وغير ذلك من وجوه الخير والبر إلا أنها لا تقل أهمية وسائل الإعلام في تقديم المعرفة والتوجيه والإرشاد في المجالات المعرفية والعقدية والسلوكية عن الإغاثة وتوفير الطعام والشراب والملبس.

ولا يخفـــى مـــا يمكن أن تسهم به وسائل الإعلام في جانب التأثير المعرفي والعقائدي والسلوكي بجانب الوسائل المعمول بها في هذه المؤسسات.

بـــل إن الرسالة الإعلامية تصل إلى جمهور أكبر مما يمكن أن تصل إليه أي وسيلة أخرى فالكـــتاب والـــشريط والخطبة والمحاضرة والندوة مع أهمية كل منها، إلا أنها لا توازي الوسيلة الإعلامية من حيث الانتشار وتخطي الحواجز الجغرافية.

ويقول د. محمد الخرعان: ذكر لي أحد القائمين على المؤسسات الخيرية أنه قام بدراسة علـــى حجم النشاطات الثقافية في أنشطة عدد من المؤسسات الخيرية مقارنة بالأنشطة الإغاثية الأخرى فتبين من الدراسة إنها لا تتجاوز ٥% فقط من مجموع تلك الأنشطة.

والأنشطة الثقافية يدخل فيها طباعة الكتب والتعليم وكل ماله صلة بذلك وربما كانت وسائل الإعلام في زاوية ضيقة أيضاً من حجم هذه الأنشطة الثقافية" [1].

إن وظـــيفة وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله تعالى، تتطلب الاهتمام الكبير به من قبل المؤســـسات الخيريـــة، حيث يعد ذلك الاهتمام جزء من رسالة تلك المؤسسات، لأنها تضطلع بمهـــام كـــبيرة وعظيمة لا تنحصر فقط في جوانب الإغاثة والمساعدات، بل لا بد من توظيف وسائل الإعلام والإفادة منها في الدعوة إلى الله؛ لأن أعداء الدعوة من اليهود والنصارى والفرق

(١) انظر: دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامي وتمويلها -د. محمد بن عبد الله الخرعان-ص ٣٠-٦٣.

الـــضالة والمذاهب المنحرفة استخدموا الإعلام في تكثيف الهجوم على الإسلام والتشكيك فيه، وإثارة الشبهات حول الكتاب والسنة والرسول الكريم محمد ﷺ.

ولذا ينبغي إعادة النظر في توجيه الأموال الوقفية لإعطاء الاهتمام بالوقف على وسائل الإعلام حتى يفاد منها في الدعوة إلى الله والرد على خصوم الإسلام وتفنيد شبهاتهم.

"إن حجـــم العناية بوسائل الإعلام من قبل المؤسسات الخيرية لم يكن بالمستوى الذي يتناسب وأهمية وفاعلية تلك الوسائل فقد حظيت بهامش صغير من الاهتمام لم يتجاوز إصدار صـــحيفة أو مجلـــة، أو تقديم برنامج أو المشاركة في لقاء إذاعي أو تلفزيوني، إن هناك مواقع إعلامـــية تـــستحق العـــناية والتطوير مثل: موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشـــاد على الإنترنت وموقع وزارة الشؤون الإسلامية في قطر، وبعض المجلات والصحف التي تصدر عن بعض المؤسسات والجمعيات في دول الخليج.

بالإضـــافة إلى الإذاعـــة الإسلامية في إندونيسيا وكذلك تجربة إذاعة صوت الإسلام في بـــيروت[1] فمـــن خلال تلك الدراسة التي أجراها د.محمد الخرعان حول دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامي وتمويلها ظهر ضعف العناية بالوقف على وسائل الإعلام كما أكدت نـــتائج الدراســـة علـــى أهمية الإنفاق على وسائل الإعلام الإسلامي، وأهمية إنشاء مؤسسات للإنتاج في إنشاء وسائل إعلامية بعد ذلك دعم الجهود الفردية، وضرورة الاستفادة من الكوادر العلمـــية الـــشرعية والمتخصصة في أقسام الإعلام والطاقات العلمية في العالم الإسلامي وتوفير

---

(١) جاء في النشرة التعريفية بإذاعة صوت الإسلام من بيروت: "من أبرز النشاطات التي أشرف على إنشائها"وقف القدوة للعلم والدعوة والخدمة" وهو وقف شرعي مسجل لدى المحاكم الشرعية السنية برقم ٣/٣٥ وجاء في النشـــرة أيضاً: كـــان لابد لنا نحن أهل المنهج القويم أن نقف وقفة جادة في وجه هذا السيل العارم من الأحقاد والضغائن التي تنهال على أهل السنة والجماعة من شتى الفرق والأحزاب اللبنانية حتى جاء الذين هم من أبناء جلدتنا كل فريق من هؤلاء أصبح لديه محطة إعلامية بشقيها المرئي "تلفاز" والمسموع "إذاعة" وأهل السنة والجماعة حائرون بين محطة هذا الفريق وذاك، وأمام هذا الزخم الهائل عمدنا إلى إنشاء إذاعة تحمل صوت الحق "صوت أهل السنة والجماعة، وكان أن سخر الله لنا إمكانيات مادية متواضعة؛ ليمتحن بها إيماننا فجعلنا منه وقفاً له ﷻ منشئين بها محطة إذاعية حملت اسم صوت الإسلام" سنة ١٤١٠هـــ-١٩٩٠م.

-انظر: دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامي وتمويلها-د. محمد بن عبد الله الخرعان-٣٥-٣٦.

الإمكانات الفنية والتقنية العالية لها.

وعن المقترحات لدعم وتشجيع العمل الإعلامي ضمن مؤسسات العمل الخيري، فقد أوضحت النتائج أهمية إيجاد فرع في كل مؤسسة خيرية لاستقبال الأموال الموقوفة لصالح الإعلام الإسلامي، أو حساب في أحد البنوك الإسلامية وإقناع المتبرعين بأهمية العمل الإعلامي، وكونه لا يقل أهمية عن بقية الأعمال الخيرية، إضافة إلى تزويدهم بمعلومات عن نتائجه وجدواه بالأرقام والإحصاءات" [1].

لقد بات من الضروري واللازم استثمار وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله تعالى، وإن مما ينبغي أن توجه إليه الجهود الوقف على مثل هذه الوسائل الحديثة التي أضحت الدعوة الإسلامية بحاجة إليها خاصة بعد أن أصبحت حلبة للصراع من خلال ما يبث ويطرح فيها من شبهات، وأفكار منحرفة أثرّت على عقول فئات ليست بالقليلة، مما يسهم في صنع الحواجز الفكرية بين غير المسلمين والإسلام، ويؤدي أيضاً إلى تشكيك بعض المسلمين وإبعادهم عن مبادئ دينهم والتأثير على أخلاقهم وسلوكهم، نظراً لما تقوم به وسائل الإعلام من تسويق للأفكار والمبادئ الفاسدة عن طريق الخبر والتحقيق والمسلسلات والروايات والمقابلات والإعلانات وغيرها.

كل ذلك وغيره مما لا يتسع المجال لذكره، يُملي ضرورة الاهتمام بالوقف على وسائل الإعلام.

(١) دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامي وتمويلها-د. محمد بن عبد الله الخرعان-٣٥-٣٦.

أثر الوقف على الفضائيات:

إن الله تعالى أناط بالأمة الإسلامية مسؤولية تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، ولأجل ذلك جعلها خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [1].

وإن قيام الأمة الإسلامية بالدعوة إلى الله تعالى يستلزم الإفادة من جميع المعطيات العلمية الحديثة وعدم الاقتصار على وسائل بعينها، طالما أنه لم يرد نص شرعي في تحريمها، ولما كانت الوسائل تتطور وتتجدد في كل زمان ومكان، فإنه ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يوظفوا النافع من تلك الوسائل في خدمة الدعوة.

وتأسيساً على ذلك أقول: إن توظيف الفضائيات في الدعوة إلى الله تعالى من الأمور النافعة والمفيدة، الأمر الذي يملي على المؤسسات الخيرية والمحسنين من الأفراد توجيه الاهتمام بالوقف على مثل هذه الوسائل العصرية لما لها من أثر طيب ومفيد وملموس في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه إذا ما أريد للدعوة أن تؤثر في الناس وترقى بمستوياتهم الفكرية وتستوعب مستجدات الحياة، فلا بد من الإفادة من تلك الوسائل الحديثة التي أضحى العالم معها كالقرية الصغيرة.

"فالإعلام قوة حقيقية، قوة سياسية واقتصادية واجتماعية، وتحوّل حالياً من أدوات تأثير ثانوية إلى صناعة فكرية متكاملة، الإنفاق فيها يتجاوز ألف بليون دولار، والخطورة أن الإعلام تجاوز المحلية وتحول عالمياً، فما نشاهده في الرياض يشاهده غيرنا في لندن وباريس، وما يكتب في أمريكا نقرأه في نفس اليوم في مكاننا. هذا الواقع الإعلامي الذي يتجاوز الحدود السياسية ومنافذ الجمارك الأرضية يحتاج منا إلى تحليل ودراسة ومن ثم علاج مناسب لحماية مجتمعاتنا المحلية من هذا الزخم الهادر" [2].

"بعد أن تشققت السماء عن القنوات الفضائية في أوائل التسعينات الميلادية وأصبح من

---

(١) سورة آل عمران جزء من الآية ١١٠.

(٢) مجلة الدعوة- حوار مع د. مالك الأحمد ص ٣٧ العدد ١٩٣٨-٢٥ صفر ١٤٢٥هـ ١٥ ابريل ٢٠٠٤م.

السهل -نسبياً- على المؤسسات الأهلية الكبرى وبعض الأفراد إطلاق باقات من القنوات يدخلون بها ملايين البيوت تضاعف هذا التحدي آلاف المرات وأصبحت اللعبة التلفزيونية الفضائية خطراً داهماً، وسرطاناً مخيفاً يفتك بالنفوس الغافلة ويقتحم البيوت الآمنة ويستطيع هزّ ثوابت المجتمعات خلال سنوات قليلة.

وأمام هذه التحديات خرجت قناة المجد الفضائية قناة خالية من المخالفات الشرعية وبدأ بثها التجريبي في سماء الفضائيات العربية اعتباراً من ١٤٢٣/٩/١هـ واستمر لمدة ستة أشهر وكانت من أفضل فترات البث التجريبي على مستوى القنوات العربية كافة.

وحرصت القناة منذ تأسيسها على تكوين لجنة شرعية موثوقة لضمان سلامة مرجعية القناة كما حرصت على إيجاد قسم متكامل للرقابة مسؤول عن مراجعة كل المواد المسجلة قبل ظهورها على شاشة المجد؛ لأن الصناعة التلفزيونية عبر تاريخها الممتد تحوي-كما لا يخفى- عدداً هائلاً من المخالفات الشرعية والفنية، ولأن قناة المجد هي أول تجربة في مضمار الصناعة التلفزيونية النقية وخلال شهور استطاعت المجد- بفضل الله ﷻ ثم بتعاون عدد كبير من شركات الإنتاج العربية العالمية أن تحقق الهدف الذي كان يبدو يوماً ما مستحيلاً" [1]

"إن من المشكلات التي تواجهها في طريق استخدام الوسائل الحديثة في الدعوة إلى الله تعالى ضعف استغلال الفضائيات لنشر الإسلام والدفاع عنه والوقوف في وجه الشبهات التي تثار حوله ولقد خطت الفضائيات من حيث الانتشار خطوات سريعة جداً لا تحتمل التأجيل، وأضحت في عالمنا العربي والإسلامي مدعاة للعبث، وأضحى التسابق على إرضاء الجمهور هو المقياس الذي تسير عليه هذه الفضائيات التي تصرح بكل وضوح إنها تعمل على إرضاء الجمهور وتحقيق رغباته وذلك من خلال ما يبث في معظم الفضائيات.

إن وسائل الإعلام أصبح العامل الاقتصادي هو الذي يحركها ويدفعها إلى التركيز على الأمور التي تجذب المشاهد أو السامع أو القارئ، أي التركيز بنسبة ليست القليلة على عامل

---

(١) انظر: مجلة بث العدد (١٥) شوال ١٤٢٤هـ وقناة المجد الفضائية صنعت في دارنا- فهد بن عبد الرحمن الشمري ص١٠-١٥.

الإشـــارة والبرامج التي لا تعنى بالعقيدة أو الشريعة والأخلاق وواقع الإعلام في بلاد المسلمين حاليًا خير دليل على ذلك.

إن موقعنا فوق خريطة النظام الكوني الإعلامي الجديد، هو موقع متواضع بكل المقاييس وهو موقع لا يتلاءم مع عمق المساحة التي نشغلها فوق الخريطة العالمية، ولا ينسجم مع الحجم الهائل للكثافة البشرية للمسلمين.

إن الحضارة الإسلامية في قوتها الكامنة، وإن أعداد المنتمين إلى تلك الحضارة هي كلها أمور تستوجب وجوداً إعلامياً أكثر فاعلية.

ومع ضعف الحضور الإعلامي العربي والإسلامي على الساحة فإن هناك بعض القنوات الفـــضائية الـــتي تتسم بالرزانة وتخاطب العقل وتسهم في الدعوة إلى الله تعالى، وتحرص على التوعـــية، وتصر على الرقي بالمجتمع من منطلق أنها تنبع من مجتمع متميز يحمل همَّ الدعوة مثال ذلك: القناة السعودية الفضائية الأولى والثانية وكذلك قناة المجد الفضائية وقناة "إقرأ" وغيرها مـــن القـــنوات العربية التي تقدم بعض البرامج الدعوية مع محدودية هذه البرامج بالنسبة لسبعة البرامج الأخرى في الفضائيات العربية"[1].

ولذا فإن مما ينبغي الاهتمام به والتركيز عليه توجيه جزء من الاستثمارات الوقفية من قبل الأفراد والمؤسسات الخيرية إلى وسائل الإعلام الحديثة مثل: الفضائيات التي أصبحت تحتل مكانـــة كـــبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات ولها حضور بارز في العصر الحاضر، وأتساءل الآن وأقول: لماذا نترك الساحة لغيرنا يصول ويجول فيها ويسيطر على نفوس وعقول نسبة كبيرة من الناس؟

أليس من الحكمة والفائدة أن يتم الاهتمام بمثل هذه الوسائل الحديثة لتُستغل في الدعوة إلى الله تعالى ودلالة الناس إلى الحق وتحصينهم ضد صنوف موارد الشر والضلال، وتوفير البدائل المباحة والنافعة لتسهم في التربية والتوجيه للناشئة؟.

---

(١) انظر: مجلة الدعوة ص ١٥- الإفادة من الوسائل الحديثة في الدعوة- د. على بن إبراهيم النملة- العدد ١٧٠٢-١٦ ربيع الآخر ١٤٢٠هـ-٢٩ يوليو ١٩٩٩م.

إن رسول الله ﷺ لم يترك وسيلة [1] نافعة ومشروعة إلا واستثمرها في دعوته إلى الله تعالى، وكما سبق القول في بداية هذا الفصل بأن وسائل الدعوة ليست توقيفية مطلقاً بل فيها مجال للاجتهاد ولا أرى مناسبة إعادة الحديث مرة أخرى في ذلك، بل إن القاعدة الفقهية تقرر أن "الوسائل لها أحكام المقاصد".

ولا شك أن الهدف من استخدام الوسائل الإعلامية الفضائية هو: تحقيق عالمية الدعوة ونشر الإسلام، ومخاطبة المسلمين وغير المسلمين بالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومراعاة مقتضى الحال وظروف المدعوين في ذلك.

ولا يخفى على أحد سرعة انتشار الفضائيات وعمق تأثيرها وجماهيرها العريضة في كل مكان.

إلا أنه لا بد من الأخذ في الاعتبار أن الاستخدام المجرد لمثل هذه الفضائيات سيحقق الأهداف المنشودة أو المقاصد التي نقصدها.

إن هناك عقبات تعترض عملية التأثير، وما أكثر تلك العقبات، ويكفي أن أشير إلى بعضها مثل: التأهيل الجيد للقائمين على تلك الفضائيات، وتوظيف التقنيات الحديثة في نقل المضمون الدعوي، وكذلك أسلوب الخطاب الدعوي المناسب لكل صنف من أصناف المدعوين وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره.

الأمر الذي يستلزم توفير الإمكانات المادية اللازمة لتحقيق المقاصد التي ننشدها من

---

(١) على سبيل المثال: استخدم رسول الله ﷺ وسيلة دعوة الأقربين، والعلاقات العامة مع الناس، والنسب والزوجات والخطابة، والاتصال الفردي والجماعي، وعرض نفسه على القبائل، والرسائل والسرايا، والشعر، مثل شعر: حسان بن ثابت رضي الله عنه.

وفي الجملة: فقد استفاد رسول الله ﷺ من كافة الوسائل النافعة والمشروعة في عصره، راجع في ذلك:- الطبقات الكبرى- لابن سعد- ٢٩١/١ وما بعدها.

- المسجد في الإسلام - خير الدين وائلي-ص٦-ط٢-١٤٠٠هـ الدار السلفية- الكويت.
- الإعلام الإسلامي- إبراهيم إمام -ص ٧٣-ط١-١٩٨١م- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة.
- آثار الحرب في الفقه الإسلامي- وهبة الزحيلي-ص ٣٥٤-ط٣-١٤٠٣هـ- دار الفكر- دمشق.

استغلال الفضائيات في الدعوة إلى الله تعالى.

وفي تـــصوري أنه ينبغي إعادة النظر في أولويات الدعوة، من حيث الوسائل في العصر الحاضر، وأتصور أن الإفادة من الفضائيات في الدعوة من خلال الوقف عليها، لا تقل أهمية عن الإغاثة والمساعدات الإنسانية.

إنـــنا نرى أن التنصير في الوقت الذي يركز فيه على المساعدات والمعونات، يركز أيضاً على الإعلام الموجه عبر الإذاعات والفضائيات، والتقنيات الآخرى التي تناسب كل مجتمع، إن الوقـــف على القنوات الفضائية-التي تعد من الوسائل الحديثة- له أثره الكبير في الدعوة إلى الله تعالى، مما يستلزم تضافر جهود المحسنين والمؤسسات الخيرية للتسابق في هذا المجال.